

«فقالوا : لا ينبغي عقد مجلس التحديث، وليكن المسمع على أكمل الهيئات، كما كان "مالك" رحمه الله : إذا حضر مجلس التحديث، ترضاً، وربما اغتسل، وتطيب، ولبس أحسن ثيابه، وعلاه الوقار والهيبة، وتمكن في جلوسه، وزجر من يرفع صوته، وكان "مالك" رحمه الله إذا رفع أحد صوته فى مجلس التحديث اتهره، وزجره، ويقول : قال الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ (الآية ٢ سورة الحجرات) فمن رفع صوته عن حديثه فكأنما رفع صوته فوق صوته»^(١).

وقد بلغ من اهتمامهم بالإسناد الذى يعتبر خصيصة من خصائص هذه الأمة أنهم يحرصون على سلامته، ويشيرون إلى اختلاف أحواله، عند صعود السند قريباً إلى رسول الله أو هبوطه بكثرة الرواة بعداً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتكلموا عن :

الإسناد العالى، والإسناد النازل :

وهو وجه من وجوه النقل لحديث رسول الله، والإسناد العالى مرغوب فيه - بطبيعة الحال- وهو مفضل عند أصحاب الحديث وقد حدا بهم هذا الأمر إلى الانتقال من بلد إلى بلد مرتحلين، متحملين لكل المشاق والمصاعب، وأهوال السفر للحصول على إسنادٍ عالٍ.

والإسناد العالى يقلّ فيه عدد الرواة، ويقترّب السند من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنهم يعتبرون أن الإسناد إذا طال فيه البحث عن أحوال الرواة، وكثر الجرح والتعديل.

ويقولون : إن أشرف وأحسن أنواع العلو ما كان قريباً من رسول الله، وقد يكون القرب من إمام حافظ، أو مصنف وقد قسموا الإسناد إلى أقسام منها :

^(١) الباعث الحديث : شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، تحقيق أحمد شاكر، ص ١٢٩.